د. أبراش في حديث خاص بـ(الوطن)

انقسام (البرامج والايدولوجيا) أديا إلى الانقسام الجغرافي .. إسرائيل لعبت دورا أساسيا في صنعه وتكريسه

العائق الجغرافي والحواجز العسكرية الإسرائيلية والأحزاب السياسية الفلسطينية أجهضت حراك الشباب

تمويل السلطة الفلسطينية ارتبط بعملية التسوية

السلطة الفلسطينية أصبحت تخضع للابتزاز الإسرائيلي وابتزاز الدول المانحة

رام الله-

قال د. إبراهيم أبراش، وزير الثقافة الأسبق، وأستاذ العلوم السياسية في جامعة الأزهر بقطاع غزة، إن الذين يقودون مشروع التسوية وراهنوا عليه يعترفون اليوم أنهم وصلوا لطريق مسدود، وحماس التي تقود مشروع المقاومة أيضا وصلت لطريق مسدود حيث باتت المقاومة عندهم خطابا وتاريخا، فشل التسوية وفشل المقاومة، وفشل البرنامجين يفرض على حركتي فتح وحماس أن ينهيا الانقسام الذي لعب دورا في فشل خياراتهما ويعيق استنهاض الحالة الوطنية.

وأشار، إلى أن الانقسام الجغرافي هو الأخطر، وإسرائيل لعبت دورا أساسيا في فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية وجر حماس لتحكم في قطاع غزة وتقليص سلطة منظمة التحرير الفلسطينية لتحكم في الضفة الغربية فقط.إن الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة جاء وفق خطة إستراتيجية إسرائيلية باركتها واشنطن وشاركت فيها أطراف فلسطينية وعربية، خطة ترمي إلى تدمير المشروع الوطني الفلسطيني وخلق فتنة فلسطينية داخلية والتخلص من "مليون ونصف" فلسطيني يعيشون في قطاع غزة.

هذه الأقوال والرؤيا للدكتور أبراش في حوار خاص بـ(الوطن).

السيناريوهات المطلوبة لإنهاء الانقسام وكيف يمكن إحياء عملية المصالحة التي تمر في حالة جمود؟

إن كلمة الانقسام الفلسطيني أصبح له أكثر من معنى ودلالة، ما هو المقصود من الانقسام هل هو الخلاف السياسي ما بين حركتي "فتح وحماس"؟هذا يعتبر شكل من الانقسام السياسي الموجود في كل المجتمعات، تعدد برامج ورؤى يمكن من خلالها التوصل إلى تفاهمات مشتركة، هذا جانب من الانقسام، لكن ما هو موجود عند الفلسطينيين أكثر وأخطر من مجرد اختلاف في وجهات النظر والبرامج بين القوى السياسية الأساسية .هناك برنامجين وإستراتيجيتين متناقضين "متعارضين" وهذا شكل آخر من أشكال الانقسام العمودي والأفقي، برنامج السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي يقوم على أساس التسوية مع إسرائيل وفكرة حل الدولتين في مواجهة برنامج إسلام سياسي لحركة حماس الذي يرتبط بإيديولوجية شمولية "أممية" تنظر إلى أن الصراع في فلسطين هو جزء من صراع كوني اشمل يقوده العالم الإسلامي وحماس جزء من هذا الصراع ،وعليه فإن الخلاف ما بين مشروع تسوية ومشروع مقاومة، ليس الجزء الأساسي من الأزمة الفلسطينية الحالية–هو جزء منها- وقد ثبت أن من يقودون مشروع التسوية يقولون انه وصل لطريق مسدود، حماس التي تقود مشروع المقاومة وصلت أيضا لطريق مسدود، واليوم لا توجد تسوية ولا توجد مقاومة، مما يفترض معه زوال مبرر الانقسام . هناك الانقسام الثالث وهو الأخطر من الانقسامين السابقين (ألبرامجي والايديولوجي) الذين أديا إلى الانقسام الجغرافي الذي لعبت إسرائيل دورا سياسي لتكريسه، فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية، بحيث أصبحت حماس تحكم في قطاع غزة ومنظمة التحرير الفلسطينية تحكم في الضفة الغربية، هذا وضع الكل الفلسطيني أمام كيانين سياسيين فلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي، كليهما له رؤية وله حكومة وسلطة وتصورات منفصلة عن تصورات الطرف الآخر.

الانقسام وكيفية الخروج منه

لعبت إسرائيل دورا في إحداث الانقسام الجغرافي، الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة لم يكن هروبا من قطاع غزة، بل كان خطة إستراتيجية إسرائيلية ترمي إلى تدمير المشروع الوطني الفلسطيني وخلق فتنة فلسطينية داخلية والتخلص من عبء "مليون ونصف" فلسطيني يعيشون في قطاع غزة،وقد جاء الانسحاب متزامنا مع توجه أمريكي لقيام الشرق الأوسط الكبير الذي يرمي ضمن أهداف أخرى لاستيعاب ودمج الإسلام السياسي في الحالة السياسية الرسمية،وما دامت إسرائيل مستفيدة من حالة الانقسام وقادرة على التحكم به لوجودها جغرافيا بين الضفة وغزة فهي تملك ورقة التحكم في إنهاء الانقسام على الأقل الجغرافي، واليوم تقف عائقا أمام إعادة توحيد غزة والضفة.

الرد على إنهاء الانقسام يحتاج إلى إرادة فلسطينية، من خلال التوافق على برنامج وطني على أساس إعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني، إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية، إعادة البناء للمؤسسات الفلسطينية في الداخل والخارج ،هذا يساعد على حل الانقسام، إعادة توحيد قطاع غزة والضفة الغربية في سلطة وحكومة واحدة يحتاج إلى اكثر من جهد فلسطيني، هناك إسرائيل والرباعية، إن لم تكن هناك تسوية سياسية جديدة تشارك فيها كل الأطراف لا يمكن إعادة توحيد القطاع والضفة، لان الشرط الإسرائيلي يبقى شرطا أساسيا في عملية إنهاء الانقسام الجغرافي.

لماذا إذا التنافس على سلطة ترزح تحت الاحتلال الإسرائيلي؟

خلال السنوات الماضية تشكلت نخب ومصالح عند طرفي الانقسام، في قطاع غزة تشكلت نخب ومصالح اقتصادية استفادت من حالة الانقسام ومن السيطرة على قطاع غزة ومن الأموال القادمة من الخارج تحت عنوان دعم المحاصرين في قطاع غزة، هذه النخبة الاقتصادية – السياسية أصبحت لها مصالح وتريد أن تحافظ على مصالحها، وليست مستعدة التنازل عن هذه المصالح، بمعنى أن المصلحة الضيقة أصبحت أهم من المصلحة الوطنية،كما يوجد تيار في حماس يرى أن لا داع لتقديم تنازلات للرئيس أبو مازن لأن المرحلة مرحلة مد إسلامي وما يجري في مصر وتونس وغيرهما سيعزز من نهج حماس،وفي الضفة الغربية أيضا تشكلت نخب ومصالح اقتصادية حتى قبل الانقسام،التي ارتبطت أوضاعها الاقتصادية بالإسرائيليين، اضافة الى التنسيق السياسي- الأمني الذي اصبح يشكل عائقا أمام تحقيق المصالحة، هناك مصالح ونخب لدى الطرفين تعيقان تحقيق المصالحة، هذا يتطلب من الرئيس محمود عباس وخالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، أن ينظروا نظرة إستراتيجية بعيدة المدى ورفض أن يتم ابتزازهم من أصحاب المصالح والفئات المستفيدة من واقع الانقسام.

ما هي السيناريوهات المطلوبة لجسر الهوة بين البرنامجين لتخليص الشعب الفلسطيني من الاحتلال الإسرائيلي ومن المصالح الفئوية والحزبية والاقتصادية؟

بذور المصالحة الإستراتيجية موجودة في ورقة المصالحة التي تم التوقيع عليها في القاهرة، مراجعة إستراتيجية لبرنامج العمل الوطني كي لا تبقى القوى السياسية والفعاليات السياسية الفلسطينية أسيرة حسابات تشكيل الحكومة و رئيس الحكومة وبرنامج الحكومة والسلطة والمصالح الضيقة، على الطرفين التفكير جيدا بإعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني وفق رؤية إستراتيجية تأخذ بعين الاعتبار أن التسوية السياسية وصلت إلى طريق مسدود والمقاومة بالشكل الذي كانت تمارس به أيضا وصلت إلى نفس الطريق، والتفكير بالقضية الفلسطينية كقضية شعب أكثر من "11" مليون فلسطيني نصفهم يعيشون في الداخل والنصف الآخر في الخارج، إن الصراع مع إسرائيل صراع ممتد ومفتوح، بالتالي مطلوب وضع إستراتيجية مستقبلية تتجاوز إشكاليات المرحلة والأزمة الحالية، هذا يجب أن لا يقتصر على "فتح وحماس" ،إذا بقي الأمر مقتصرا على فتح وحماس، لن ينجزوا إلا مصالحة إدارة انقسام في ظل الاحتلال. المطلوب إشراك كل القوى السياسية والشخصيات المستقلة ومؤسسات المجتمع المدني لتأسيس عقد سياسي جديد عقد سياسي لحركة تحرر وطني وليس لسلطة وحكومة تحت الاحتلال.لا شك أن هذا يحتاج إلى وقت طويل،وليكن لأننا نتحدث عن قضية شعب عمره أكثر من أربعة آلاف سنة وما زال متجذرا في أرضة ولم يتنازل عن حقوقه، المهم أن نبدأ العمل على الآن وعدم الاستسلام للقدرية السياسية ، إن لم يبدأ الفلسطينيون بوضع مشروع وطني استراتيجي جديد، سيبقى الفلسطينيين يسيرون من منزلق إلى منزلق آخر، الإستراتيجية الفلسطينية يجب أن تبنى باعتراف الطرفين والأحزاب السياسية، على الكل أن يعملوا وفق سياسة المصارحة والشفافية والمكاشفة لتجنب الفشل الذي عاشته الساحة الفلسطينية في المرحلة السابقة، وبغير ذلك ستبقى المصالحة تراوح مكانها.

كثيرا ما نسمع عن ضرورة الحراك الشعبي الفلسطيني، هل يستطيع هذا الحراك فتح طاقة للمصالحة من اجل إعادة تحقيق الوحدة الوطنية والجغرافية؟

هناك مفارقة غريبة، الشعوب العربية كلها تتحرك من مصر إلى المغرب بأشكال متعددة من خلال ثورات أو أعمال عسكرية كما هو حاصل الآن في سوريا، أو من خلال مسيرات ومظاهرات كما هو في المغرب، إلا الشعب الفلسطيني الذي يخضع للاحتلال الإسرائيلي والذي له تجربة في الحراك الشعبي والانتفاضة الأولى والثانية ولديه استعداد للتضحية يعيش حالة سكون أو حالة دفاع عن النفس دون أن يتأثر كثيرا بالحراك الشعبي العربي،بل يمكن القول إن هذا الحراك العربي أوجد نوعا من المراهنة عند البعض تدفعهم للصمت في انتظار المنقذ الإسلامي والعربي .

نعتقد أن الجغرافيا تعتبر أهم عائق أمام تشكيل حالة شعبية كبيرة، الشعب الفلسطيني نصفه في الداخل والنصف الآخر في الخارج، النصف المتواجد في داخل فلسطين المحتلة منقسم ما بين قطاع غزة والضفة الغربية وما وبين الفلسطينيين العام "1948" وفي الضفة الغربية الحواجز العسكرية الإسرائيلية تمنع التواصل الشعبي الواسع ما بين مدن الضفة الغربية، هذا الواقع الجغرافي يُصعب من تنظيم حراك شعبي فلسطيني واسع، مع ذلك يمكن للشعب الفلسطيني تنظيم التحركات الشعبية بما هو ممكن وتطويرها لدرجة العصيان المدني وإن احتاج الأمر للمواجهة المسلحة ولكن في ظل إستراتيجية وطنية شمولية،حالة الانقسام السياسي تُضاف لحالة الانقسام الجغرافي تعتبر عائقا أما نهوض شعبي عارم، هذا يذكرنا بما جرى في آذار العام الماضي بادر الشباب الفلسطيني إلى "حراك شبابي" لكن العائق الجغرافي والأحزاب السياسية أجهضوا حراك الشباب، حيث الأحزاب تخوفت أن يكشف حراك الشباب فشل وعجز الأحزاب والفصائل الفلسطينية، ركبت الأحزاب موجة الحراك الشبابي وفي نفس الوقت عملت على إجهاضه، مع ذلك يجب على الكل أن يتوقع كل شيء من الشعب الفلسطيني، الذي يبدو مستكينا في الفترة الحالية، لكن ممكن أن ينتفض الشعب الفلسطيني في أية لحظة ،فلا أحد يستطيع أن يتنبأ بتحرك الشعوب، وما هو شكل هذا الحراك الفلسطيني القادم، هل سينتفض على الحكومتين ام سيعود إلى العمل المسلح، هذه أمور أرى انها ستحدث، لكن كيف ومتى هذا متروك للوقت، مع استمرار المأزق في الضفة والقطاع سيتحرك الشعب الفلسطيني وقد يبدع شكلا من أشكال الانتفاضة غير مسبوقة عما كان سابقا.

كيف تقيم دور الأحزاب والفصائل الغير مشاركة في عملية الانقسام التي تركت الساحة الفلسطينية في حالة من الانقسام؟

الأحزاب السياسية الفلسطينية لعبت دورا سلبيا وكأنها استمرئت أن تلعب دور المعارضة، وتقول "إنا لست جزءا من الانقسام" تنتقد فتح وحماس، وتقبل بدور توجيه النقد اللفظي، وفي نفس الوقت تستفيد من حالة الانقسام، لأنها لا تقوم بأي عمل جاد من اجل إنهاء الانقسام أو من اجل استنهاض المشروع الوطني، ومن جانب ثاني فان هذه الفصائل وخصوصا اليسار تكرس عملية الانقسام بطريقة غير مباشرة، الفصائل اليسارية في قطاع غزة هي اقرب إلى حركة حماس ورؤيتها، وفي الضفة اقرب إلى رؤية السلطة وحركة فتح، إن الأحزاب صروحها الموجودة في القطاع لها رؤية وإستراتيجية عمل مختلفة عما هي موجودة في الضفة الغربية، الأحزاب هي جزء من مشكلة حتى وان لم تكن جزءا أو مشاركة في الانقسام ،لأنها عاجزة عن القيام بأي شيء يمكنها بالفعل من وضع حد للانقسام أو استنهاض الحالة الوطنية.

السلطة الفلسطينية تعاني من أزمة اقتصادية بسبب عدم التزام الدول المانحة بسداد ما عليها،الا تعتقدون ان الدول المانحة تمارس ضغطا سياسيا على الفلسطينيين من باب المال والاقتصاد للقبول بالعودة الى المفاوضات والحلول السياسية التي تتلاءم مع الفهم الإسرائيلي السياسي؟

أي تمويل خارجي له أهداف سياسية، لا يوجد دعم أو تمويل في "سبيل الله" او بدون هدف سياسي حتى تمويل جماعات الإسلام السياسي له هدف سياسي وليس ديني، بالتالي فكرة تمويل السلطة الفلسطينية ارتبط بعملية التسوية. إن فكرة الرباعية والدول المانحة حتى قبل تشكيل الرباعية أنهم سيدفعون للفلسطينيين أموالا لإدارة السلطة الفلسطينية مقابل التزام الفلسطينيين بعملية التسوية، عملية التسوية فشلت بسبب الممارسات الإسرائيلية، الدول المانحة لا تريد تحميل المسؤولية لإسرائيل فوجدت في الطرف الفلسطيني الطرف الضعيف، بالتالي تمارس نوعا من الابتزاز على السلطة الفلسطينية من خلال محاولتها إجبار السلطة البقاء في عملية التسوية التي قتلتها إسرائيل مقابل ان تحصل على الأموال، هذا الأمر وضع ثقل ومسؤولية كبيرة جدا على السلطة، فهي لا تستطيع أن تعتمد على ذاتها في تمويل مشاريعها التنموية، وفي نفس الوقت لا تستطيع أن تنصاع لشروط الرباعية، هذا الأمر يجعل السلطة تعيش الآن مأزقا كبيرا جدا اليوم، الأمر الذي دفع الرئيس عباس وأكثر من مسؤول فلسطيني الى إعادة التفكير بمصير السلطة الفلسطينية، إلى أين تذهب السلطة التي أصبحت تخضع للابتزاز الإسرائيلي من جانب، ومن جانب آخر ابتزاز الدول المانحة، ويراد لها أن تقوم بالتنسيق الأمني وحماية إسرائيل وتتحمل مسؤوليات من اختصاص الاحتلال في ظل وجود الاحتلال، هذا الأمر دفع الكل لطرح تساؤلات كثيرة حول مستقبل السلطة والى أي مدى يمكن أن تستمر السلطة بهذا الشكل.وأنا ضد أن يتحمل العرب مسؤولية دعم السلطة ماليا في ظل وجود الاحتلال لان هذا يخدم إسرائيل أكثر مما يخدم الفلسطينيين،فعلى إسرائيل ما دامت مصرة أن تكون دولة احتلال ان تتحمل مسؤولية الشعب الخاضع للاحتلال.

أمام الواقع السياسي الحالي الفلسطيني هل الشعب الفلسطيني بحاجة إلى قيادة جديدة تعمل على تخليص الشعب من الاحتلال الإسرائيلي أم القيادة الحالية قادرة على تخليص الشعب الفلسطيني؟

من الصعب اليوم إلغاء وجود الأحزاب والفصائل الفلسطينية الموجودة في الساحة الفلسطينية، ليس لأنها أحزاب كبيرة أو لتاريخها النضالي، لكن لان الساحة الفلسطينية وفي ظل وجود الاحتلال الإسرائيلي، وفي ظل الوضع العربي تعادي بلورة قوى فلسطينية جديدة بسرعة، كانت هناك محاولات خلال السنوات العشر الماضية من أطراف وشخصيات متعددة لبلورة أحزاب او قوى سياسية جديدة، لكنها بقيت تدور عند نقطة المنطلق فقط ولم تتحرك إلى الأمام، الأحزاب الموجودة وإسرائيل لن تسمح بوجود حالة سياسية جديدة لها سقف سياسي اكبر من سقف الأحزاب الفلسطينية الموجودة على الساحة الفلسطينية، الحالة العربية أيضا لا تساعد، مع ذلك الفلسطينيين بحاجة إلى تجديد الحالة السياسية من خلال القوى السياسية الموجودة وانفتاحها على قوى جديدة وعلى الشخصيات المستقلة وأكاديميين ومثقفين وأن تجدد نفسها ولا تبقى محصورة بنفس هياكلها وشخصياتها الذين وصلوا في خياراتهم إلى طريق مسدود،وفي نفس الوقت الاشتغال على بلورة تيار وطني ديمقراطي يواجه الحالة المأزومة ويستنهض الوطنية الفلسطينية التي شوهتها الأحزاب وتتجاهلها جماعات الإسلام السياسي وتحاربها إسرائيل،هذا التيار ضرورة ملحة بالرغم من الصعاب التي ستواجهه.